

الاحتلال الفرنسي للجزائر ومبرر الماضي اللاتيني القديم

The French occupation of Algeria and the justification of the ancient Latin past

طالب الدكتوراه: بيبي عابد
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف - الجزائر
a.bibi@univ-chlef.dz

د. ربيعة أحمد
جامعة أحمد بن بلة وهران (1) - الجزائر
Hist45@hotmail.com

تاريخ النشر: 2022/07/05

تاريخ القبول: 2022/05/24

تاريخ الإرسال: 2021/12/06

المخلص:

لقد إفتنح الفرنسيون بضرورة الربط التاريخي بين العهد الروماني وحاضر الاحتلال الفرنسي في الجزائر، إذ سعى هذا الأخير بكل ما يملك من قوة ونفوذ لأجل تمجيد وتعظيم حضارة الرومان، واعتبار الوجود الفرنسي هو بمثابة تنمة للوجود الروماني، فعملوا على تأكيد ذلك وإعطاء الشرعية لاحتلالهم، فسعوا واجتهدوا في إظهار عظمة الانجازات وكل ما له صلة بالتراث الروماني من خلال إحياء وكشف كل الشواهد المادية التي أنجزها أسلافهم فيما سبق والتنقيب عن كل المخلفات والآثار العمرانية المنتمية للرومان والبيزنطيين في المنطقة، فاصدين بذلك إعادة تثمين الماضي اللاتيني القديم وتمجيده، في مقابل إنكار أصل وهوية وتاريخ الشعب الجزائري.

ومن أجل تحقيق ذلك عملوا على طمس ومحو معظم المعالم المادية الجزائرية التي تعود إلى العهد الإسلامي عامة والعهد العثماني خاصة، فكانت نتيجتها أن تعرضت المدن الجزائرية لعمليات الهدم والتخريب في منشآتها الحضارية والمعمارية والتاريخية، فهدمت المساجد وحولت أخرى إلى كنائس وثكنات وأغراض أخرى، وخرّبت الشوارع وأسقطت القصبات، وبالتالي نفذت فرنسا مخططاتها الإجرامي المتمثل في القضاء على المقومات الروحية والمادية للجزائر، زاعمة من وراء ذلك إعادة مجد أسلافها، وإثبات أن شمال إفريقيا بما فيها الجزائر هي امتداد للحضارة الرومانية قبل أن تكون عربية إسلامية، مما كان لهذه السياسة انعكاسات خطيرة على حاضر ومستقبل الجزائر بصفة عامة.

الكلمات المفتاحية:

الاحتلال الفرنسي، الجزائر، الرومان، الآثار العمرانية، العهد العثماني.

Abstract:

Since the beginning of the French occupation of Algeria, French colonialism has sought with all its power and influence in order to prove that the country of Algeria is a roman land and their subordinate, and the presence of the French amounts to complete the roman presence, sot they worked hard to show the greatness of the achievements and everything related to the roman heritage by revining and revealing all the material evidence that their predecessors had brought in the above and by excavating all the urban remains and monuments belonging to roman byzantine in the region, with the intention of reassessing and glorifying the ancient Latin past.

And for this, they worked to erase most of the Algerian monuments dating from the Islamic era in general and the ottoman era in particular, as result of which Algerian cities were subjected to demolition operations and of sabotage in their cultural, urban and historical facilities, and mosques were demolished and turned into churches and barracks, and streets were ravaged. Claming From behind this to restore the glory of its ancestors, and to prove that north africa, including algeria, is an extention of the roman civilisation before it was an arab islamic, which had serious repercussions for this policy on the present and the future of algeia in general.

Keywords:

The French Occupation, Algeria, The Romans, Urban Implications, Ottoman Era.

1. مقدمة:

لقد ظل الفرنسيون يحلمون باحتلال الجزائر منذ القديم، وبدا لهم ذلك ضروريا بعد الهزائم التي منوا بها على أيدي الانجليز بداية من القرن التاسع عشر، مما دفعهم يفكرون في استعادة مكانتهم وسلطانهم، ولا يتحقق ذلك سوى باحتلال الجزائر، وفعلا تحقق الحلم وباتت الجزائر مستعمرة فرنسية ابتداء من عام 1830م.

ومهما قيل عن الدوافع الحقيقية للاحتلال الفرنسي فإن الهدف الأول منه هو تطبيق سياسة الاستيطان بعد إبادة السكان الأصليين وتوطين أوروبيين محلهم، مستعملين في ذلك أبشع الأساليب والطرق على أرض الجزائر والتي لا تمت بصلة لتقاليد وأعراف الجزائريين، لهدف حماية المستوطنين واستقرارهم، وكذا تحقيق المنافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي كانت فرنسا تسعى إلى تحقيقها منذ القديم.

وبهدف تزكية الاحتلال الفرنسي والاحتفاء بنجاحه في الجزائر، فقد علل المنظرون الفرنسيون آنذاك وزعموا أن أرض الجزائر هي أرض أوروبية قبل أن تكون إسلامية وأن كل الإنجازات والشواهد والآثار العمرانية على الخصوص هي من إنشاء الرومان. فكانوا يسعون إلى إيجاد كل المبررات والأعذار الممكنة لإثبات مزاعمهم تلك.

الإشكالية: إلى أي مدى استطاع الفرنسيين تبرير احتلالهم للجزائر واعتباره الامتداد اللاتيني لأسلافهم بإفريقيا؟ أو بعبارة أخرى هل التواجد الروماني القديم بشمال إفريقيا هو تبرير منطقي اتخذته فرنسا لتغطية دعايتها لاحتلال الجزائر؟

أهداف البحث: تكمن أهداف البحث في دراسة المزاعم الفرنسية في تبريرها لاحتلال الجزائر، ومحاولاتها ترسيخ فكرة إعادة تثمين وتمجيد الماضي اللاتيني القديم في الجزائر، من خلال الاهتمام بعمليات التنقيب عن التراث القديم لإثبات مزاعم الاحتلال الفرنسي وانعكاسات ذلك على الجزائر بصفة عامة.

منهج البحث: اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي في دراسة موضوع البحث وتحليل عناصره.

2. أهم المزاعم الفرنسية في تبريرها لاحتلال الجزائر

منذ أن وطأت فرنسا أقدامها أرض الجزائر سعت إلى تبرير احتلالها موازاة مع تحقيق أهدافها وطموحاتها، من خلال الاستيلاء على الأرض وباطنها واستنزاف كل خيرات البلاد، إلى جانب أنها عملت على محو هوية الشعب الجزائري بعدما استعملت مختلف السياسات الاستعمارية من هدم وتحطيم وتغيير لأهم المعالم الحضارة العربية الإسلامية من مساجد وشوارع وقصبات ومراكز تعليمية وغيرها في كل الجهات وبكل المدن الجزائرية، ليفقدوها طابعها الإسلامي وإحلال محلها الطابع الغربي الأوروبي.

يبدو أن معظم المؤرخين الاستعماريين قد توافقوا على النفي القاطع لوجود أمة متكاملة العناصر في جغرافية الجزائر الحديثة، وتجاهلوا بذلك التكوين التاريخي للجزائر، إذ يبررون ذلك أن هذه البلاد ليست سوى مجموعات سكانية متنوعة اتخذت شمال إفريقيا موطناً لها، فتجاهلوا عن قصد الانتماء الثقافي والحضاري للشعب الجزائري، وبالمقابل مجدوا تاريخ تواجد أجدادهم الرومان والبيزنطيين الذين مروا من هنا عبر التاريخ كمحتلين مؤقتين، فهم بذلك يتجاهلون أصول هذا الشعب وتميزه عن الهوية الأوروبية.

كانت تقارير ومذكرات الضباط والجنود الفرنسيين مصدراً مهماً في كتابة تاريخ الجزائر في ظل نقص وشح الوثائق والكتابات الجزائرية التي كان مآلها إما الإتلاف أو الضياع بعمد أو بغير عمد عند دخول الجيوش الفرنسية الهمجية المحتلة، وهذا ما يؤكد الباحث محمود عباس حمودة على أن معظم وثائق وتقارير الدولة الجزائرية قبل سنة 1830، قد ضاعت ولم يسلم من ذلك إلا الدفاتر الكبيرة الحجم التي لا يمكن نهبها، بعد أن قام عدد من الأشخاص باقتناء وتملك الوثائق لجمالها، عن طريق الشراء من بعض مكتبات باريس والجزائر¹.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يؤكد مؤرخو الاحتلال أن لا أثر لوجود مذكرات أو كتابات دونت من قبل سكان الجزائر في العصور القديمة ما عدا مذكرات المؤرخ الروماني سالوست (86-36 ق.م)، أما الكتابات الفعلية حول تاريخ الجزائر قد بدأت مع الفتوحات العربية².

إن عملية محو كل أثر للوثائق والكتابات حول تاريخ الجزائر القديم خاصة الإسلامي منه، كان الاحتلال الفرنسي يسعى من ورائها التشكيك في ماضي الجزائر المجيد وبالتالي تشويه صورتها، خاصة ما تعلق بالعهد العثماني منه، على أنه كان عهد تخلف كامل، على أساس ما دُون في سجلات القنصليات وروايات الرحالة الأوروبيين.

وفي هذا المجال ذكر الدكتور محمد البشير شنييتي في كتابه أضواء على تاريخ الجزائر القديم: إن إقناع القارئ بعظمة الانجاز الروماني وشموخ الكنيسة المسيحية في الجزائر القديمة بصورة يتضاءل أمامها كل شيء من منجزات التاريخ السابق أو اللاحق للفترة الرومانية، ما عدا الانجاز الفرنسي طبعاً الذي هو استئناف لمهمة روما في نظرهم³.

من المؤكد أن الفرنسيين منذ دخولهم الجزائر عملوا وبذلوا كل جهودهم في سبيل إثبات أن هذه الأرض كانت أوروبية، أسسها أسلافهم الرومان والبيزنطيين، وبمجيئهم أو بالأحرى احتلالهم لهذه البلاد سعوا إلى إحياء وكشف الغطاء عن كل الآثار والشواهد المادية التي من شأنها إثبات ادعاءات أطروحتهم، وهذه الأخيرة هي بمنزلة الذاكرة الجماعية التي تربط شعبنا بماضيه، وخاصة العمرانية منها والتي تعود لتلك الحقبة، وبذلك يثبتون مزاعمهم في أحقيتهم فيها، وكأن هذه البلاد لا ماضي لها ولا حضارة فيها ولا سكان فيها قبل مجيء هؤلاء الأوروبيين.

والى جانب تواجد المنشآت المعمارية الرومانية بشمال الجزائر وحتى بجنوبها، فقد أدركوا بما ليس فيه شك أن تشييد المدن والحوضر قد بلغ مداه، خاصة بعدما عثر الجنود الفرنسيين على مئات من التوابيت الحجرية بمناطق مختلفة بأولاد نايل وغيرها، فهم يستدلون على أن التواجد الروماني شمل كل ربوع الجزائر بما فيها الجنوب⁴.

بالنسبة للجزائريين تعتبر هذه المزاعم من نسج خيال المحتل، الذي يدعي أحقيته في هذه الأرض، ولا داعي للحديث عن الدوافع والحجج التي اتخذتها فرنسا لاحتلال الجزائر، فهي كثيرة ومتعددة، سواء كانت اقتصادية أو دينية أو سياسية أو ثقافية أو غيرها، نتيجتها أن الجزائر وقعت ضحية لأول استعمار في العصر الحديث، وأبشع احتلال عرفته البشرية لما واجهه الشعب الجزائري من قتل واضطهاد ونفي وهدم لممتلكاته، وتدمير كل ما له علاقة بالمقومات المادية والروحية للبلاد من مؤسسات ومراكز وبناءات وغيرها. فقد اتضح أن الفرنسيون وضعوا أيديهم على جميع ممتلكات الدولة من عقار وأموال ووثائق كما سلمت أسلحة الجيش والبحرية⁵.

إذ عرفت الجزائر خلال هذه الفترة أكبر عملية نهب وسلب لمواردها وثرواتها واستعباد سكانها، ذلك أن أهداف فرنسا في احتلال الجزائر ليست وليدة عام 1830 بل تعود إلى قرون مضت.

إن فرنسا لم تهمها طريقة ووسيلة احتلال الجزائر بقدر ما كانت تهمها الغاية منه، وكيفية تركية عملها هذا وإضفاء الصبغة الشرعية لاحتلالها. والبحث عن جميع السبل لإيجاد المبررات التي تبيح لها عدوانها الغاشم على الجزائر وشعبها. وهذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال إحدى أهم المبررات التي صاغتها آنذاك لتبرير جريمة الاحتلال، وعلى الخصوص ما أسمته: إعادة تثمين الماضي اللاتيني القديم وتمجيده. ليس بأرض أوروبية أو ببلاد مجاورة لها، وإنما بأرض تبعد عنها جغرافيا بآلاف الكيلومترات أي ما وراء البحر، ولا مجال للمقارنة بين البلدين.

3. إعادة تثمين وتمجيد الماضي اللاتيني القديم بالجزائر

يعتبر تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر هو نقطة بداية التفكير الجدي للفرنسيين الغزاة في الاهتمام بتراث الجزائر وماضيها، من خلال التنقيب عن كل الآثار التي لها صلة بالماضي اللاتيني القديم، سواء كان روماني أو بيزنطي والذي كانت بلادنا إحدى محطاته في شمال إفريقيا، سعوا من وراء ذلك إلى إعادة إبراز لكل المعالم والمنشآت والانجازات المادية والعمرانية على الخصوص، لأجل التعرف على ماضيها لعلمهم يجدون ما يبرر احتلالهم وغزوهم البلاد.

لقد عمدت السلطات الفرنسية منذ الوهلة الأولى على توضيح مجد هذه الأمة واحترامها وحتى الخوف منها، فقامت بتعزيز الشعور بالانتماء الفرنسي وتقوية وجودها سيما بإعادة تثمين ماضيها اللاتيني، فكان علم الآثار أهم طريقة ركز عليها الفرنسيون في إنجاح هذا المسعى، والذي من خلاله يقتفون آثار أسلافهم، يتحركون وفق خط السير نفسه، على الطرق العتيقة، يحتلون المناطق نفسها ويشيدون المواقع العسكرية في أماكن الجيش الإمبراطوري نفسها متحججين بأن خيار هذا الجيش كان مبررا بواسطة معرفة جيدة بالمكان والرجال. ومن هنا، إذا كانت روما قد بنت مدينة بذلك الموقع، فهذا يعني احتواءه على منبع مائي، وهنا يجب أن تكون الأرض خصبة⁶.

وهذا ما يؤكد أوفونتانت (Enfantin) حين قال: أنه من الواجب على الفرنسيين اتخاذ نفس الخطوات ونفس الأعمال التي قام بها الرومان فيما قبل، كما يجب علينا كأحفادهم مباشرة كل ما لم ينجزوه من أعمال وإنجازات ومن الأكيد النجاح فيه⁷.

وعليه اجتهدت السلطات الاستعمارية على طمس معالم الجزائر الإسلامية ومحو هوية الشعب واستبدالها بهوية فرنسية لازمت على تنفيذها وتحقيقها طول مدة مكوثها، أي أكثر من قرن وربع القرن من الزمن، متبعة في ذلك أساليب وطرق غير قانونية ولا إنسانية منتهكة كل اللوائح والتشريعات، بداية بالجرائم المرتكبة ضد الشعب الجزائري وممتلكاته والخارجة عن كل الأخلاق والأعراف من إبادة جماعية وتدمير لكل شيء. ثم اتخذت خطوات أكثر خطورة ولها أثار سلبية على المجتمع الجزائري على المدى البعيد، ونقصد بها محاربة اللغة العربية التي هي وعاء الدين الإسلامي، لأن فهم الدين لا يتم إلا بمعرفة اللغة العربية، واعتبارها لغة أجنبية⁸.

ولا يتحقق هذا الهدف إلا بتدمير وتحطيم كل المؤسسات والمراكز والزوايا والكتاتيب التي تُتمّي وتُغذي الفكر الثقافي والديني للمجتمع الجزائري، وهذا ما يعني قطع الصلة بين الشعب وتراثه ودينه وماضيه العريق. فكانت المساجد من بين الأهداف الأولى لهذه السياسة، فقصّة جامع كتشاوة غنية عن التذكير، فخلال ثلاث سنوات فقط من الاحتلال حولت ثلاثة أرباع مساجد مدينة الجزائر إلى أغراض أخرى، وكثيرة هي التي أعطت للتجار الأوروبيين⁹.

وما يلاحظ على أعمال الاحتلال الفرنسي في الجزائر، أنه ركز كثيرا على طمس كل المعالم التي عرفت الجزائر خلال العهد الإسلامي، وخاصة العهد العثماني، حتى لا تقوم للمسلمين قائمة، وفي هذا الشأن يقول أندري ريمون "أن بعضا من العدد الهام من عمائر القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر التي زالت، كانت عثمانية بحتة. ففي الجزائر كانت حصيلة الاحتلال الفرنسي دمار أو تشويه عدد من الجوامع الهامة التي نشأت خلال الفترة العثمانية. وفي أماكن أخرى كان التحديث سببا في ضياع الكثير منها"¹⁰.

وهذه الأعمال وغيرها كان الهدف من وراءها هو نشر الأمية والجهل في أوساط الشعب حتى لا يشعر بشخصيته ووجوده، كما تعمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى السطو على الأوقاف الإسلامية أيام قلائل فقط من دخول مدينة الجزائر وهو مشروع استعماري يعود إلى الماضي البعيد، إذ ساهمت هذه الأوقاف في أعمال البر والإحسان وكانت لعائداتها أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية والثقافية، إلى جانب تحقيق متطلبات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني خاصة، وللقضاء عليها عمدت السلطات الفرنسية على التخلص منها، فكانت البداية إصدار قرار قائد القوات العسكرية الإفريقية كلوزيل المؤرخ في 8 سبتمبر 1830 الذي ينص على مصادرة أملاك المسلمين المنحدرين من أصول تركية من منازل ومحلات وحدائق وأراضي، ومن بعده قرار ثاني مؤرخ في 7 ديسمبر من نفس السنة المتضمن ضم أملاك الحرمين (أملاك مكة والمدينة) إلى الأملاك العامة، وقد عُرِفَت عن هذه الأوقاف أنها كانت الممول الأول لمختلف النشاطات التعليمية والاجتماعية والدينية والخيرية بالجزائر، كما كانت تعتبر أهم مصدر مالي إسلامي مهمته تولي إدارة شؤون العلم والتعليم بالبلاد وتغطية كل نفقات المتعلمين ومحاربة الجهل والامية. كما كانت المدارس والزوايا والمعاهد منبرا لنشر العلم والثقافة الدينية في أوساط عامة الناس وتحفيظ القرآن وتلقين مختلف العلوم. ومن هذا المنطلق اتضحت نوايا الاحتلال الفرنسي في القضاء على أهم مصادر ثقافة الشعب الجزائري والسعي لطمس هويته واستبدال لكل ما له علاقة بالحضارة الإسلامية بما هو أوروبي غربي.

فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الجزائر لم تكن إطلاقاً، قبل العدوان الفرنسي عليها، بأقل من أي دولة أوروبية أخرى حضارة أو تقدماً، بل لقد كانت الحركة التعليمية قائمة في الجزائر حتى عام 1830م على قدم وساق، فكان يوجد بها حوالي (3000) مدرسة ابتدائية وكانت جامعات الجزائر الأربع الشهيرة خير دليل على ذلك التقدم وهي: جامعة الجزائر، قسنطينة، تلمسان ومازونة¹¹.

وتبعا لسياسة الاحتلال الفرنسي تم هدم معظم المدارس وإغلاق الكثير منها، ومراقبة الباقية، ومقاومة التحاق الأطفال الجزائريين بمؤسسات التعليم الفرنسية، ففي عام 1870م كان هناك 36 مدرسة ابتدائية عربية فرنسية و1300 تلميذا، ومعهدان عربيان فرنسيان، وثلاث مدارس دينية إسلامية، أما في حدود عام 1890م لم يكن يرتاد المدارس الابتدائية من أبناء الأهالي سوى 1.9 % من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة، وهذه النسبة لا تمثل سوى 10 آلاف طفل¹².

أما بمدينة قسنطينة فقد تراجع عدد مدارسها من 90 مدرسة ابتدائية عام 1836 إلى نحو 30 مدرسة حسبما ذكر الجنرال بيدو (Bedeau) في مذكراته، وصار يؤمها 350 تلميذا فقط سنة 1850 بدلا من 1300 إلى 4001 تلميذ كانوا يؤمون تلك المدارس قبل الاحتلال¹³.

وبذلك يكون تقليص عدد رواد المدارس من التلاميذ والطلاب بمثابة نشر الجهل في أوساط السكان نتيجة هدم المؤسسات التعليمية ومحاربة العلم بصفة عامة، لأجل بلوغ هدف أسمى وهو اجتثاث جذور الشعب الجزائري، وهذا ما كانت له انعكاسات خطيرة على حاضره ومستقبله.

وفي مقابل ذلك اهتم الاحتلال الفرنسي واستثمر كثيرا في بناء المدارس والمعاهد والكلليات لأبناء المستوطنين الذين نالوا اهتماما كبيرا، لأنهم جيل مستقبله، وسعى لتهيئتهم على أن يكونوا أسيادا على الجزائر، وتأكد ذلك من خلال إلزامية تعليمهم وتسهيل كل منابع الثقافة والفكر لديهم لأجل تعزيز فكرة شعورهم بانتمائهم التاريخي لأجدادهم الرومان بالجزائر، وكذلك ترسيخ لهؤلاء الأجيال فكرة أحقيتهم على الجزائر فكريا، وفي هذا الإطار ذلت فرنسا كل الصعاب وسهلت حياة المستوطنين وقامت حكوماتها المتعاقبة بتشجيع هجرة الأوروبيين إلى الجزائر واستقرارهم فيها بمنحهم الأرض مجانا أو بأسعار رمزية تدفع في أجال طويلة، وبتجهيزهم بالعتاد، وإمدادهم بالقروض الميسرة، وتشجيع القرى الاستيطانية، وتعبيد الطرق، ومد سكك الحديد، وبناء السدود، ومد قنوات الري، وتوزيع الكهرباء وغير ذلك من المرافق والخدمات¹⁴.

أما عمليا فيقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن أن الفرنسيين منذ الوهلة الأولى قد حفروا عن الآثار المسيحية، مستفيدين من الخرافة تارة وكتب الرحالة تارة أخرى. فقد كانت الروايات تزعم أن الجامع الكبير (الأعظم) كان مبنيا على هيكل ديني مسيحي قديم، فعمل الفرنسيون على تعرية أساس الجامع المذكور لعلهم يكتشفون آثار ذلك الهيكل. وزعم منجموهم وكتاب أخبارهم أن الجامع الجديد (الحنفي) قد بناه عبد مسيحي، وأن الأمر كان قد صدر له لبناء مسجد فبنى هو كنيسة، ونسبوا إليه أنه قال: عندما يحتل المسيحيون هذه المدينة سيكون لهم هذا الجامع كنيسة¹⁵.

وهذا جانب من سعيهم في تبرير احتلالهم وتمجيد الرومان فيما قبلهم وتعظيم حضارتهم في الجزائر، فالوجود الفرنسي لم يكن مجرد عمل استعماري يعني بالبحث عن مصادر الثروة والمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة والأسواق المفتوحة، ولكن كان عملا آخر يتلخص بإبادة السكان الأصليين وتوطين أوروبيين في الجزائر لتكون الامتداد اللاتيني لفرنسا عبر المتوسط¹⁶.

إن تعرض المدن الجزائرية لعمليات الهدم والطمس والتخريب والتشويه لمعالما الحضارية والمعمارية والتاريخية والثقافية والدينية ومحو كل آثار ماضيها، هو لأجل إثبات مزاعمهم الاستعمارية على أن تلك المدن هي من تأسيس الرومان، وكأن الجزائر كانت أرض خالية من العمران والسكان. فعمل الفرنسيون على الاستشهاد بكل ما وجدوه عند احتلالهم الجزائر من بقايا أثرية خاصة من المعالم التي لازالت قائمة للمدن الرومانية، فهم يذكرون أن المؤسسات والمراكز العمرانية الموجودة بالجزائر يقدر عددها بالآلاف، وأهمها مدينة تازولت التاريخية الواقعة بإقليم ولاية باتنة التي كانت قديما تسمى (Lamboesa) الواقعة على سفوح جبال الأوراس على مساحة إجمالية قدرت ب 470 هكتار¹⁷.

لقد عُرف عن الاحتلال الفرنسي بانتهاجه لكل الطرق والسبل التي تمكنه من تأكيد وجوده لهدف إبراز قوته وتوصيل فكرة إثبات الخلفية الفكرية والإيديولوجية والسياسية لصالحه بالجزائر. فشكل نوعا من الدعاية الثقافية العمرانية المتمثلة في تبديل أسماء شوارع معظم المدن والقرى الجزائرية وإعطاء أسماء رومانية وأوروبية ودينية-مسيحية وتاريخية. وهو بذلك يعزز الشعور بالانتماء الفرنسي للمدينة وإعادة تثمين ماضيها اللاتيني، وتوضيح

مجد الأمة، واستثارة احترام فرنسا والخوف منها. وضمن هذا المنظور نعثر غالبا على أسماء كبيرة من تاريخ فرنسا المعاصرة لشخصيات أو معارك¹⁸.

فمن خلال التفاتهم إلى آثار ماضيهم العتيق، فهم يقبلون على استعادة ممتلكات أجدادهم في شمال إفريقيا وبطبيعة الحال فإنهم يرون أنفسهم أنهم الورثة الطبيعيون للإمبراطورية الرومانية.

فهذا مثلا كافينياك (1802-1857) وهو عسكري وسياسي فرنسي مستغرق في التأمّلات أمام صليب من العهد الروماني-المسيحي، منقوش على صخرة في مدينة موزاية، فيقول: بما أنها (روما) قد حكمت هنا، فما علينا إلا أن نواصل عملها.

كان كافينياك يجمع بمنتهى العناية كل الشواهد المتصلة بالاحتلال الروماني، مهما كانت صغيرة، لكي يقتفي الأثر الذي تركه أجداده، فاهتم اهتماما كبيرا بالحفريات، فأمر بإجرائها لكي يستخرج الآثار التي تبرهن للبدو بأن الأوروبيين لهم حقوق قديمة في امتلاك البلاد، فقد كان حلمه أن يجدد بناء المعبد المتهدم فوق نفس الأساس القديم، وأن يهديه إلى روح الأسقف ريباراتوس، واستعان في مشروعه بأحد الرهبان... فما كان منه إلا أن لبي طلبه وجاء لينحني إجلالا على رفاة سلفه، ولإعداد ما يلزم لاستئناف العبادة بين جدران كاستيلوم تانجيتانوم المشيدة¹⁹.

يفتخر الفرنسيون كثيرا بكل أعمال الرومان وما أنجزوه في كل مناطق شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، والتي كانت أبرزها قيامهم بإنشاء عدد من المدن الرومانية بالسواحل والمناطق الداخلية على السواء. بالإضافة إلى إنشاء الطرق والممرات اللازمة لتحركات جيوشه تماما مثل ما فعله أحفادهم الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر خلال القرن التاسع عشر، وبذلك فهم يعتبرونهم قدوة لكل تحركاتهم وكل أعمالهم في الجزائر.

ومن جهة أخرى لعبت سياسة التنصير دورا مهما في ترسيخ العقليّة الكولونيالية وتثبيت المشروع الاستعماري الاستيطاني، مستخدمين في ذلك مختلف الأساليب والمناهج لهدف تحقيق تطلعات الكنيسة النصرانية بإفريقيا الشمالية وخاصة في الجزائر التي سعى إليها أجدادهم فيما سبق، ولا يكون ذلك إلا بنشر تعاليم المسيحية بالجزائر من خلال بناء الكنائس والأسقفيات والإشادة بالعصر الروماني، ومحاولين لربط ماضي شمال إفريقيا

المسيحي بالحضارة الغربية التي عادت بالوجود الفرنسي في الجزائر، وعليه فإن امتداد المدنية اللاتينية بالمغرب العربي هو تأكيد على أن هذه البلاد قد طبعت منذ العهد الروماني بالطابع المسيحي²⁰.

أظهرت الحضارة الرومانية قدراتها وإمكانياتها العالية من البراعة وحسن التنظيم خاصة في مجال العمران، الذي نال قسطا كبيرا من الاهتمام، ولا أحد ينكر ما قدمته الحضارة الرومانية لبلادنا وللبنشيرة أجمعين في هذا المجال، وعلى الخصوص تفوقهم في بناء وتشيد مختلف الإنجازات العمرانية وما خلفته من مدن قائمة بذاتها على غرار مدن تيمقاد وتيبازة وجميلة ومن معابد ومسارح وحمامات وجسور وغيرها أينما حلوا. إلا أن كل هذه الانجازات كانت تخدم المحتلين دون سواهم، بمعنى أنها ما كانت لتكون سوى لاستفادة هؤلاء الأجانب، في حين لم يتمتع الأهالي بها.

4. الاهتمام بعمليات التنقيب عن التراث القديم لإثبات مزاعم الاحتلال الفرنسي

بعد الاحتلال مباشرة بدأ الفرنسيون يهتمون بالتراث الأثري الجزائري، وذلك بعد ظهور حركات الكشف التي كانت أوروبا رائدة لها، وكانت تلك الحركة تهدف إلى التعرف على ماضي الشعوب وثقافتها وخصوصيتها لكونها مختلفة عن الأمم الأوروبية وواقعة تحت سيطرتها أو نفوذها. فكان التسابق في أوائل القرن التاسع عشر حين كانت الجامعات الأوروبية تُخرج أجيالا من العلماء المسلحين بالمنهج العلمي الحديث القائم على سيادة العقل والتجربة. وكانت الجزائر من أوائل البلدان التي وقعت بيد الاستعمار الفرنسي فقد تعرضت لامتداد تلك الحركة الاستكشافية النشيطة. حيث كان العلماء الفرنسيون ممثلين لها بشكل احتكاري رغم ضالة زادهم العلمي مقارنة بالألمان والإنجليز ممثلين في ضباط الجيش المختصين في المسح الطبوغرافي. هؤلاء الذين قاموا بتدوين البقايا الأثرية والتي شكلت تسجيلات رصيدا وثائقيا مرجعيا لرجال الآثار والتاريخ للذين أتوا فيما بعد. لقد اتسمت حركة الكشف هذه بالسمة الاستعمارية، فكانت ترمي لخدمة الاحتلال وتكريس أبعاد السياسة الاستعمارية الكامنة وراءه²¹.

ومن أجل هذا سارعت السلطات الفرنسية غداة الاحتلال بتشجيع الباحثون الفرنسيون على توجيه الاهتمام بدور المدينة الرومانية التي مثلت في اعتقادهم الازدهار الاقتصادي وما آل إليه من استقرار اجتماعي ونموه آنذاك. وذلك لهدف استمرار الوجود الفرنسي. ففي نظرهم مثلت المدينة الرومانية الحضارة وما عرفته من رقي المجتمع، إلا أنهم تناسوا أن الذين تمتعوا بالرخاء وسعة العيش بتلك المدن ليسوا سوى أجانب عنها أو من الطبقة الارستقراطية.

كما لا ننسى أن تاريخ الاستعمار الروماني في شمال إفريقيا عامة وبلاد الجزائر خاصة، ما كان ليثبت ويعمر طويلا بُغية الاستفادة من الخيرات الطبيعية التي تنتجها الأرض الجزائرية ذات الجودة العالية من المحاصيل والمنتجات الزراعية الكثيرة والمختلفة، فكانت حقا المخزن الغذائي لروما²².

كان إقحام نموذج التخطيط الغربي من أهم آثار الاستعمار، وارتبط التحديث العمراني في الجزائر بظاهرة استعمارية عنيفة إقصائية، عملت على تصحيح مورفولوجية المدينة الأصلية بإشراف سلاح الهندسة (Génie Militaire) الذي وضع مخططات لمعسكرات محصنة وقرى استيطانية، وغير وجه المدن القديمة تحويرا وتوسعة. وقدمت التحويرات العمرانية والمنشآت المستحدثة على أنها نهضة عمرانية نزعت عن المدينة الأصلية مظهرها الشرقي البالي²³.

تتجلى صورة أخرى من هذا النمط في كون الفضاء الحضري المشيد خلال 130 سنة من الاستعمار الفرنسي، لا يجب أن يخدم غير المجتمع المسيطر، بينما بقي المجتمع الآخر، الغارق في البؤس، غائبا عن أي برنامج وبعيدا عن أي تقدم²⁴.

إلا أنه لا يمكننا تقبل أن هؤلاء المحتلين القادمين من أوروبا يمثلون أصول هذه البلاد ولهم الحق في امتلاكها، وكأننا بذلك نقول أن الآثار الرومانية وبقاياهم العمرانية الثابتة من جسور وقلاع وكنائس وغيرها، ومن آثار منقولة من لوحات الفسيفساء يمكنهم تملك هذه البلاد، على الرغم من أن الحضارة الرومانية خلفت أثارا خالدة ظلت باقية طوال الدهر. وفي كل الأحوال فهي الدلائل والبراهين التي أراد الفرنسيون من وراءها أن يستغلوها كحجج على أحقيتهم على هذه الأرض. وقد غاب عن أنظارهم بأن هذه الآثار شيدت بسواعد أبناء

هذه البلاد، والذين استعملوا مهاراتهم وخبراتهم من خلال استغلال المواد الأولية ومن الموارد الطبيعية المحلية في تشييد المباني والانجازات.

وعليه فالسعي المستمر في إثبات الوجود التاريخي للرومان بالمنطقة هو جوهر التفكير والمنطق الذي استخدمته فرنسا لإثبات أحقيتها على الجزائر وتأكيد مكوئها، أي أن وجودها يستمد أحقيته من الوجود الروماني القديم، وكأن الاحتلال الفرنسي مجرد فكرة مفادها العودة إلى بلاد كان أجدادهم قد مكثوا فيها فيما مضى، وبالتالي يتقنوا أن وجود أسلافهم بالمنطقة فيما سبق هو بالضرورة ما سيسمح لهم بالاستقرار في الجزائر مستقبلا.

وفي سبيل التوسع الاستعماري انتهجت فرنسا سياسة تهدف إلى جعل الجزائر جوهر مستعمراتها فيما وراء البحار، نظرا لقربها من الوطن الأم ونظرا لثرواتها الهائلة. وهكذا بدأت السلطة الاستعمارية تقوم بلعبة التشريع وتطويع وتمطيط القوانين لاستخدامها كأسلحة لنهب أراضي وأمالك الأهالي وتسليمها إلى المعمرين الأوروبيين، ومن ثم تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية، وتصبح كأنها امتداد لفرنسا في القارة الإفريقية²⁵.

كما يمكن اعتبار أن فرنسا عند الاحتلال، كانت قد قرأت تاريخ الجزائر بعين استعمارية وفسرتها بما يناسبها ويخدمها، مستخدمة في ذلك كل الأساليب القهرية لإنجاح مشروع الاحتلال وتيسيره، فحرصت كثيرا على تمرير فكرة تواجد الرومان وأحقيتهم فيها وربط الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط بأرض أوروبا. فكانت نتيجة هذه السياسة هو تزييف الحقائق التي أدت إلى نتيجة حتمية وهي احتلال البلاد واستعباد الأهالي ومصادرة أمالك السكان، وبقي الحال إلى غاية افتكاك الاستقلال، أي بعد أن مكث الاستعمار لأكثر من قرن وثلاث القرن من الزمن.

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر والاحتلال الروماني لشمال إفريقيا هما وجهان لعملة واحدة، فهما متلازمان يكمل بعضهما البعض، أما الرومان فكانوا يتمتعون بالحقوق السياسية وامتلاك الأراضي وتوزيع الغنائم على الجنود الرومانيين الذين يساعدونهم في بسط نفوذهم على أراضي الغير، في حين لم تكن لسكان شمال إفريقيا حقوق وإنما كانت لهم واجبات تتمثل في خدمتهم سواء كجنود أو عمال أو مزارعين²⁶.

وكذلك تأكد لدينا أن الأهالي ومنذ القديم لم يستفيدوا من هؤلاء الغرباء إلا الاستعباد ونهب الموارد واستغلال الثروات لصالح الغير، إذ لم يستفد النوميديون شيئاً كبيراً من الاحتلال الروماني رغم أنه استغرق أربعة قرون، فكان عهدهم يتسم بالطابع العسكري والاقتصادي، يهدف من وراءه الاستيلاء على ثروات إفريقيا دون رقيب لخدمة مصالح سكان روما وسياسة فرق تسد اتجاه الأهالي، وهي نفس السياسة التي انتهجتها فرنسا في الجزائر²⁷.

لقد بلغ بطش الرومان ضد السكان الذروة، فقد تفتنوا في احتقار الأهالي وتجريدتهم من كل الحقوق، فكان لهم التفوق المطلق على جميع السكان، والبربر عندهم متساوون في فرض طاعة روما عليهم واعتبارهم أداة لسعادتهم، يستغلون أرضهم الخصبة وأبدانهم القوية. فكل ما كان للرومان من خدمة الأراضي للفلاحة وضخامة البناء للفخخة والنزهة فهو على حساب الجهود البربرية²⁸.

وبالرغم من هذه السياسة المجحفة في حق السكان الأصليين وقت الرومان، فإن الفرنسيين كانوا يعظمونها، وعلى رأسهم أونفونتان (1796-1864) الذي كان يفتخر بالوجود الروماني بشمال إفريقيا، ويؤكد بكل فخر واعتزاز على أن طبيعة وجودهم كانت تربوية للشعوب المنهزمة، ولم تكن في يوم من الأيام مدمرة ولا مخرّبة كالتي عرف بها الوندال أو العرب، كما أن سياستهم لم تعرف بالنهب والسلب كالتي عرف بها الأتراك في الجزائر²⁹.

وبطبيعة الحال فالمؤرخون والكتاب الفرنسيون يمدحون ويمجدون كل الأعمال التي قام بها أجدادهم الرومان، وينفون كل عمليات النهب والسلب التي طالت موارد وخيرات الجزائر، ومحاولاتهم المتكررة لمحو شخصية الشعب وسلب حرياته وعمليات تشريد الأهالي الأصليين، خاصة إذا ما تمكن كلا من المحتلين (الروماني والفرنسي) من الاستحواذ على الأراضي وجلب المهاجرين من أوروبا وإتاحة لهم فرص الاستقرار والاستثمار، مما اضطر لكثير من الجزائريين للنزوح إلى المناطق الجبلية والناحية والصحراء وحتى الهجرة إلى خارج البلاد منذ القديم. خاصة إذا علمنا أن المجتمع الجزائري مجتمع زراعي والأرض هي

مصدر وأساس رزقه. لذا لم تكن عملية اجتثاثه من أرضه ولا محو شخصيته بالعملية السهلة.

لقد انتهجت فرنسا بعد احتلالها للجزائر نفس الخطوات التي انتهجها الرومان فيما قبلهم، وفي هذا الشأن قامت حكوماتها بتشجيع هجرة الأوروبيين إلى الجزائر للاستقرار فيها، والاستيلاء على مئات الآلاف من الهكتارات لأخصب وأجود الأراضي ومصادرتها من أيدي أصحابها الجزائريين، في وقت وضعت فيه السلطات الاستعمارية كل الأجهزة والمؤسسات سواء التشريعية والسياسية والمالية لخدمة المستوطنين.

وهنا نتساءل لماذا بلغ بالفرنسيين والأوروبيين على السواء كل هذه الدرجة من الحقد تجاه الجزائر التي هي جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وكيف بهم نكران ما قدمته الحضارة الإسلامية للإنسانية، من ابتكارات وإنجازات في مختلف العلوم والفنون لحضارات العالم. ولولا هذه الفترة الزاهية في تاريخ الحضارة والفكر الإنساني، وعناية العرب بالحضارات القديمة السابقة لضاعت معالم تلك الحضارات، ولما وصلت حضارات العالم الحديث إلى ما وصلت إليه³⁰.

وخير مثال على مواكبة الحضارة الإسلامية للحضارات التي سبقتها دون المساس بمعالمها أو محاولة محوها، هو ما جرى بالأندلس، وهنا لا بد من الإشارة إلى ذلك الامتزاج بين الحضارة الأندلسية بالحضارات السابقة في شبه الجزيرة الأيبيرية وكيف ظلت تتفاعل مع هذه الحضارات إلى أن وجدت نمطا متميزا وفاقت جاراتها الأوروبية بهذه التجربة الحضارية الرائدة، فكانت حقا مركز إشعاع وتطوير³¹.

ومن هنا يتبين لدينا أن المسلمين لما بلغوا من القوة والتوسع في العالم، لم يحطموا ولم يهدموا الحضارات التي سبقتهم، وحتما لم يغيروا في أشكالها ولا في معالمها، بل أخذوا عنهم ما يفيدهم ويفيد البشرية جمعاء كالترجمة التي شملت الكتب القديمة وتصحيح بعض المفاهيم وحتى ترميم بعض المنشآت وصونها.

ومهما ذكرنا فإن ما جرى للجزائر من قبل الاحتلال الفرنسي ليس سوى تنمة للحروب التي شنها الصليبيون على المسلمين منذ أن ظهر الإسلام كعقيدة ودين سماوي، والتي كان يرجو من ورائها القضاء على توسعات المسلمين وردعهم وتحطيم كل انجازاتهم وتحقيق دوافعهم تماما مثل ما حصل للأندلس في نهاية القرن الخامس عشر.

أما قديما وللكشف عما يمكن أن يكون الرومان قد أقادوا به المغاربة، فإذا بدأنا مثلا بالفلاحة، سرعان ما يتضح لنا أن الرومان لم يفيدوا في هذا المجال بشيء، لأن هؤلاء الأخيرين تعلموا فنونها من البونيقيين قبل معرفتهم بالرومان، وكل الذي استفاد به أيام الرومان هو تنويع وسائل الإنتاج وتطويرها، وتكثيف وسائل الري وتعميمها، أما الصناعة فيبدو أن الرومان أنفسهم كانوا في مستوى لا يفوق ما كان القرطاجيون عليه في هذا الميدان، لذا فليس لديهم ما يقدمونه للمغاربة الذين تعلموا صنائع عديدة أيام البونيقيين³².

وهذا ما يقاس على الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي أراد تشويه صورتها بكل الطرق والوسائل، وادعاءاته المتكررة أن هذه البلاد لا يصلح حالها إلا بعد أن تُحكم من قبل الأوروبيين (الفرنسيين) الذين سيجلبون لهم الحضارة كما يزعمون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سوء تقديره لحال الجزائر آنذاك، فإذا ما تطرقنا إلى التعليم فقد كان في أحسن أحواله قبل احتلالهم، ذلك أن عدد المدارس كان مرتفعا والأمية كانت شبه منعدمة، وذلك لوجود المساجد والزوايا والمدارس في كل مدن وقرى الجزائر، بالإضافة إلى كثرة وتنوع المدن التي كانت قبلة للعلم والعلماء على غرار بجاية وتلمسان ومازونة وغيرها، التي أنارت منطقة شمال إفريقيا كلها وناقست كبريات المدن الإسلامية آنذاك، أما الجانب الاقتصادي فقد كانت الحرف التقليدية أو بما يُعرف بالصناعات الإنتاجية للبلاد كانت ذات أهمية بالغة على اقتصاد الجزائر في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي، وعلى سبيل الذكر لا الحصر فإن نشاط صناعة المنسوجات الحريرية في الجزائر خلال العهد العثماني كان نشاط بالغ الأهمية، بعدما كانت تنسج بالجزائر أقمشة من الكتان يلبسها الأهالي، وحاشيات من الحرير مختلفة الألوان والطول والعرض وهي أتقن صنعا وأمتن من التي كانت تصنع بأوروبا³³.

5. الخاتمة:

وفي الأخير يمكن التأكيد أن القصد من سياسة الاحتلال الفرنسي في تهمين الوجود الروماني بالجزائر وسعيه لترسيخ فكرة الاعتزاز بالمنجزات الرومانية عبر العصور للأجيال، كان بمثابة تبرير وإعطاء الصبغة الشرعية لاحتلالها، في مقابل طمس وتحطيم وتخريب وتشويه للإنجازات والمعالم المادية والتراثية للفترة الإسلامية للجزائر، خاصة ما تعلق بالبنائات الدينية وعلى رأسها المساجد والزوايا، كان الغرض منه التشكيك في ماضي وأصالة وعمق تاريخ الجزائر، لاسيما شخصيتها وكيانها الممتد إلى غابر الأزمنة، وبالتالي يمكن القول أن فرنسا حاولت تبرير للعالم أن الجزائر هي امتداد تاريخي وطبيعي لفرنسا، وبطبيعة الحال كان هذا حلم وفكرة راودها منذ الوهلة الأولى، إذ لم يتحقق هذا المشروع رغم طول مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر، بفضل رفض الشعب الجزائري لكل أشكال الاحتلال مهما تنوعت، وذلك من خلال القيام بالانتفاضات والثورات منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر، وبقي رافضا لتبعية فرنسا إلى غاية الاستقلال. ويبقى تاريخ الجزائر ثري بالأحداث ومتنوع بالإنجازات والآثار والشواهد، وكأنها فسيفساء شاركت فيها مختلف الشعوب والحضارات التي مرت بشمال إفريقيا.

5. الهوامش:

- 1- محمود عباس حمودة: الوثائق العثمانية، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1999، ص 32.
- 2- O. Houdas, **Ethnographie de l'Algérie**, Maisonneuve Frères et Ch, Leclerc éditeurs, Libraires de la Société d'Ethnographie, 25, Quai Voltaire, 1886, P 98.
- 3- محمد البشير شنييتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 18.
- 4- Berbrugger et les romains dans le sud de l'Algérie, Revue Africaine, 1857, P. 277.
- 5- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص 114.
- 6- كميل ريسلر: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر: أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: طيار نذير، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، عمان، الأردن، 2016، ص 58.
- 7 - Enfantin : **Colonisation de l'Algérie**, P, Bertrand Libraire, 38, Rue Saint-André-Des-Arcs, 1843, P.25.
- 8- محمد علي داهش: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، بيروت، 1998، ص 19.

- 9- جمال قنان: مرجع سابق، ص 121.
- 10- أندريه ريمون: العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، ط1، دار المجد، دمشق، 1986، ص 122.
- 11- أحمد محمد عاشوراكس: صفحات تاريخية خالدة من كفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني 1500-1962، ط1، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009، ص 116.
- 12- يحيى بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 43.
- 13- بشير بلال: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 150.
- 14- بشير بلال: نفس المرجع، ص 251.
- 15- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 80.
- 16- علي القوزي: دراسات في تاريخ العرب المعاصر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999، ص 469.
- 17-Rozet et Carrette, L'Algérie, Firmin Didot Frères, Imprimeurs de l'institut, Rue Jacob, 56, Paris, 1850, P 196.
- 18- كميل ريسلر: المرجع السابق، ص 134.
- 19- مصطفى الأشرف: الجزائر: الأمة والمجتمع، تر: بن عيسى حنفي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 283-284.
- 20- خديجة بقطاش: "الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)"، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص 137-138.
- 21- محمد البشير شنييتي: المرجع السابق، ص 20-21.
- 22-Ch, de Rotalier, Histoire d'Alger et de la Piraterie des Turcs dans la Méditerranée, Tome 1, Chez Paulin, Libraire-éditeur, Rue de Seine, 33, Paris, 1841, P 19.
- 23- معاوية سعيديوني: "أزمة التحديث والتخطيط العمراني في الجزائر: جذورها، واقعها، آفاقها"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد الرابع، عدد 16، 2016، ص 10-11.
- 24- العربي إيشبودان: "مدينة الجزائر تاريخ عاصمة"، تر: جناح مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 212.
- 25- إبراهيم مياشي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 127.

- 26- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 17.
- 27- عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 29.
- 28- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 280.
- 29-Enfantin, Op-Cit, P21.
- 30- أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012، ص 331.
- 31- حتاملة محمد عبده: الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، طباعة مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 2000، ص 1078.
- 32- بوزياني الدراجي: ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 95-96.
- 33- عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 145.

6. قائمة المراجع:

المراجع:

- الأشرف مصطفى: الجزائر: الأمة والمجتمع، تر: بن عيسى حنفي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- إيشبودان العربي: مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، دار دحلب، الجزائر، 2007.
- بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- بوعزيز يحيى: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- حتاملة محمد عبده: الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، طباعة مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 2000.

- حمودة محمود عباس: الوثائق العثمانية، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1999.
- داهش محمد علي: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، بيروت، 1998.
- الدراجي بوزياني: ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- ريسيلر كميل: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر-أهدافها وحدودها (1830-1962)، تر: طيار نذير، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، عمان، الأردن، 2016.
- ريمون أندريه: العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، ط1، دار المجد، دمشق، 1986.
- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- شلبلي أبو زيد: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 2012.
- شنييتي محمد البشير: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
- عاشوراكس أحمد محمد: صفحات تاريخية خالدة من كفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني 1500-1962، ط1، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009.
- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994.
- القوزي علي: دراسات في تاريخ العرب المعاصر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999.
- مياي إبراهيم: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
- الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

المجلات:

-سعيدوني معاوية: "أزمة التحديث والتخطيط العمراني في الجزائر: جذورها، واقعها، أفاقها"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد الرابع، 2016.

Ouvrages :

- Enfantin : **Colonisation de l'Algérie** , P, Bertrand Libraire, 38, Rue Saint-André-Des-Arcs. 1843
- O. Houdas, **Ethnographie de l'Algérie**, Maisonneuve Frères et Ch, Leclerc éditeurs, Libraires de la Société d'Ethnographie, 25, Quai Voltaire. 1886
- Rotalier Ch, (de) : **Histoire d'Alger et de la Piraterie des Turcs dans la Méditerranée**, Tome 1, Chez Paulin, Libraire-éditeur, Rue de Seine, 33, Paris. 1841
- Rozet et Carette, **L'Algérie**, Firmin Didot Frères, Imprimeurs de l'institut, Rue Jacob, 56, Paris. 1850

Revues :

- Berbrugger et les romains dans le sud de l'Algérie, Revue Africaine, 1857.